

الجمهورية العربية السورية

وزارة التربية والتعليم

المركز الوطني للمتميزين

المركز الوطني للمتميزين
NATIONAL CENTER FOR THE DISTINGUISHED



حلقة بحث بعنوان :

الطوطم و التابو

(عند سيغموند فرويد)

تقديم الطالب : أحمد منصور الأحمر

الصف: الحادي عشر

تاريخ : 2015 - 2016 م

إشراف المدرّس : شادي العمر

الفهرس

المحتوى	الصفحة
المقدمة	3
أولا : سيغموند فرويد	4
أ : فرويد و التحليل النفسي	4
ب : بعض من أفكار فرويد	5
ثانيا : الطوطم و التابو	6
أ : مقدمة إلى مفهوم الطوطم و التابو(التعريف,العلاقة بينهما,أساس كل واحد فيهما.....)	6
ثالثا : تهبب سفاح القربى	8
أ : دراسة العادات عند الشعوب البدائية للوصول للأصل	8
ب : اختلاف المحظورات من منطقة لأخرى	8
رابعا : التابو و ازدواجية الانفعالات العاطفية	9
أ:مدخل لمفهوم التابو	9
ب : أنواع التابو حسب نورثكوت .ف توماس :	10
ج : أهداف التلبو حسب سيغموند فرويد :	10
د : أنواع التابو حسب فونت :	10
هـ : ازدواجية الانفعالات العاطفية	11
خامسا : الأرواحية	12
سادسا : العودة الطفولية للطوطمية (إيجاد الأصل)	12
أ : الجوانب المختلفة للطوطمية	12
ب : نظريات منشأ الطوطمية	13
النظرية الأسمانية	13
النظريات السوسيولوجية	14
النظريات النفسانية	14
الخاتمة	15
المراجع	16

المقدمة

بدأ الإنسان بالتفكير في أمور تجعل حياته أسهل في جميع المجالات فبدأ بالاختراعات التي أدت إلى التطور الحضاري والثقافي والاقتصادي وجميع المجالات الأخرى , وليس في المجالات المادية إنما في المجالات المعنوية والنفسية غير المحسوسة كالتحليل النفسي الذي تطور عبر الزمن من قبل العديد من الفلاسفة فكان أول بيان له عن تطور التحليل النفسي و موضوعه في خمس محاضرات ألقاه مؤسس مدرسة التحليل النفسي (سيغموند فرويد) في جامعة كلارك بورستر في ولاية ماساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية , حيث أعرب رؤساء التحرير عن اعترافهم بأهمية التحليل النفسي , بأن خصصوا له قسما خاصا و آنذاك كان قد ظهر بحث عن (تاريخ حركة التحليل النفسي) و. و هنا كانت البداية لما يسمى بمدرسة التحليل النفسي لمؤسسها سيغموند فرويد الذي ولد في 6 مايو 1856 في أسرة تنتمي إلى الجالية اليهودية في بلدة بريو، بمنطقة مورافيا التابعة آنذاك للإمبراطورية النمساوية، والتي هي الآن جزء من جمهورية التشيك. أنجب والدته جاكوب عندما بلغ 41 عاما وكان تاجر صوف، و كان قد أنجب طفلين من زواج سابق. والدته أمالي (ولدت ناتانسون) كانت الزوجة الثالثة لأبيه جاكوب. كان فرويد الأول من ثمانية أشقاء، ونظرا لذكائه المبكر، كان والداه يفضلانه على بقية إخوته في المراحل المبكرة من طفولته وضخوا بكل شيء لمنحه التعليم السليم على الرغم من الفقر الذي عانت منه الأسرة بسبب الأزمة الاقتصادية آنذاك. وفي عام 1857، خسر والد فرويد تجارته، وانتقلت العائلة إلى لايبزيغ قبل أن تستقر في فيينا. وفي عام 1865، دخل سيغموند مدرسة بارزة-و هي مدرسة كومونال ريل جيمنازيوم الموجودة في حي ليوبولشتاتر ذي الأغلبية اليهودية- حينها. وكان فرويد تلميذا متفوقا وتخرج في مأتورا في عام 1873 مع مرتبة الشرف. كان فرويد قد خطط لدراسة القانون، لكن بدلاً من ذلك انضم إلى كلية الطب في جامعة فيينا للدراسة تحت إشراف البروفسور كارل كلاوس.¹ تخرج فرويد من كلية الطب عام 1881 و في عام 1885 أصبح محاضرا جامعيا في الأمراض العصبية و نشر في الأعوام 1893-1895 بالاشتراك مع برويز دراسات حول الهستيريا و بدأ التحليل النفسي كعلم نظري في كتابه (الطوطم و التابو) أم كعلم تطبيقي فقد بدأ التحليل النفسي في عام 1897

و لكن نتساءل ما أصل العادات و التقاليد والديانات ؟ و هل هي جاءت كمسلمات جاهزة أم تطورت مع الزمن ؟ و ما هو سبب ظهور الأشياء المحرمة و المحظورات و هل تختلف المحظورات من منطقة لأخرى ؟ و لماذا؟

¹ http://www.sst5.com/authorinf.aspx?Author_id=363

أولا : سيغموند فرويد

كنا في ما سبق في المقدمة قد كتبنا نبذة عن حياة مؤسس مدرسة التحليل النفسي (سيغموند فرويد) و الآن سوف نتكلم عن :

أ : فرويد و التحليل النفسي

كما ذكرت سابقا أن بداية مشوار سيغموند فرويد كانت في مجال الطب و سنتحدث هنا عن التطور الذي حصل له من الطب إلى بداية المفهوم الذي أطلق عليه (التحليل النفسي).

أراد سيغموند فرويد في البداية أن يدرس القانون بسبب تأثره القوي من صديق له في المدرسة وأراد أن يكرس نفسه للشؤون الاجتماعية. و اجتذب إلى نظرية داروين التي شاع الاهتمام بها في ذلك الحين اجتذابا قويا . و إن ما جعله يقرر دراسة الطب هو استماعه إلى مقال (جوته) الممتع عن الطبيعة. وعند دخوله إلى الجامعة شعر بأنه يختلف عن حوله , فوجد الراحة و الرضا في معمل إرنست بروك الفيزيولوجي , و قد عهد إليه بروك (أحد الرجال اللامعين في هذا المعمل) بمشكلة يبحث في تشريح خلايا الجهاز العصبي . حصل فرويد على شهادة دكتور في الطب عام 1881 و ظهرت نقطة التحول في عام 1882 , حيث ألح عليه أستاذه أن يتخلى عن العمل النظري , فقام بترك معمل الفيزيولوجيا و التحق طبيا تحت التمرين بالمشفى العام , و بعد فترة رقي الى طبيب نائب فأصبح يتنقل بين أقسام المشفى , ف قضى سنة أشهر في قسم الطب العقلي للأستاذ مينرت و انبهرو فرويد كثيرا بعمله. وانتقل فرويد لدراسة الجهاز العصبي المركزي للإنسان , مما أدى إلى أنه أصبح باحثا مجدا في معهد تشريح المخ , حيث كان إيدنجر (رائد من أكبر رواد تشريح الجهاز العصبي) يطلع بانتظام على نتائج فرويد . و ذات يوم عرض على فرويد من قبل مينرت أن يتفرغ لتشريح المخ و كان قد أباح له معمله يشتغل فيه فرويد تحت إشراف مينرت ,² شرع فرويد إلى دراسة الأمراض العصبية , فأصبحت خبرته بهذا المجال تزداد شيئا فشيئا بسبب نشره عددا من الملاحظات الإكلينيكية عما يلحق الجهاز العصبي من إصابات عضوية حتى أصبح بوسعه تحديد موضع إصابة ما في النخاع المستطيل , كان دقيقا لدرجة أن المشرح البيولوجي لم يعد بوسعه أن يضيق شيئا جديدا على التشخيص , و كان أول شخص في فيينا يبعث للمشرفة بحالة شخصها التهاب حاد في الأعصاب . و ذاعت شهرة تشخيصاته فأقبل عليه سيل من العلماء الأمريكيين.

و في ربيع عام 1885 عين فرويد محاضرا في علم الأمراض العصبية استنادا الى ما نشره من بحوث هستولوجية و إكلينيكية. وقبل أن يغادر باريس ناقش فرويد مشروع دراسة مقارنة للشلل الهستيرى و العضوي , و كان يود أن يثبت أن حدوث الشلل و فقدان الحس في مختلف أجزاء الجسم تتعين طبقا للفكرة الشعبية عنها لا طبقا للحقائق التشريحية . وفي خريف 1886 استقر به الأمر في فيينا كطبيب , وحصل على فرصة دراسة الكوكابين و آثاره الفسيولوجية³ , و وجد في

حياتي و التحليل النفسي (سيغموند فرويد) الصفحة 26 _ 20²

³ http://www.sst5.com/authorinf.aspx?Author_id=363

الحاجة أم الاختراع وسيلة للعلاج حيث عندما كان علاج مرضى الأعصاب يجب أن يكون أحد⁴
⁵قادر على تقديم المعونة و لم يكن من ذخيرته العلاجية غير سلاحين هما : العلاج الكهربائي و
التنويم و لكنه آمن أن العلاج بالتنويم أفضل من العلاج الكهربائي

و بعد العمل الطويل و البحث الدائم له على معلومات جديدة و في نهاية مشواره إلى الوصول إلى
هدفه توصل فرويد إلى أن الكبت هو صراع بين رغبتين متضادتين، وهناك نوعين من الصراع :
1- واحد في دائرة الشعور تحكم النفس فيه لإحدى الرغبتين وترك الثانية وهو الطريق الطبيعي
للرغبات المتضادة دون أضرار النفس. بينما النوع الآخر 2- هو المرضى حيث تلجأ النفس بمجرد
حدوث الصراع إلى صد وكبت إحدى الرغبتين عن الشعور دون التفكير وإصدار حكم فيها، لتستقر
في اللاشعور بكامل قوتها منتظرة مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، ويكون عن طريق الأعراض
المرضية التي تنتاب العصابين. واتضح لفرويد أن دور الطبيب النفسي هي كشف الرغبات
المكبوتة لإعادتها إلى دائرة الشعور لكي يواجه المريض الصراع الذي فشل في حله سابقاً، ويحاول
حله تحت إشراف الطبيب أي احلال الحكم الفعلي محل الكبت اللاشعوري، وسميت تلك الطريقة
التحليل النفسي. لاقت هذه النظرية رواجاً كبيراً خاصة في سويسرا، حيث أعجب بها أوجين بلولر
المشرف على معهد الأمراض العقلية بالمستشفى العام بزيورخ ويونج المساعد لأوجين.⁶

ب : بعض من أفكار فرويد

عقدة أوديب هي : مرحلة في تطور الطفل بين ثلاث سنوات إلى تسع، تتميز برغبة الطفل في
الاستئثار بأمه، لكنه يصطدم بواقع أنها ملك لأبيه، مما يجعل الطفل في هذه المرحلة من تطوره التي
تمتد من السن الثالثة إلى التاسعة يحمل شعوراً متناقضاً تجاه أبيه: يكرهه ويحبه في آن واحد جراء
المشاعر الإيجابية التي يشمل بها الأب ابنه. تجد عقدة أوديب حلها عادة في تماهي الطفل مع أبيه.
يرى فرويد أن السمات الأساسية لشخصية الطفل تتحدد في هذه الفترة بالذات التي تشكل جسر مرور
للصغير من طور الطبيعة إلى الثقافة، لأنه بتعذر امتلاكه الأم يكتشف أحد مكونات القانون متمثلاً في
قاعدة منع زنا المحارم

لهذه العقدة رواية أنثوية إن جاز التعبير، يسميها فرويد بعقدة إلكترا تجتاز فيها الطفلة التجربة نفسها،
لكن الميل يكون تجاه أبيها. كما للعقدة نفسها عند فرويد رواية جماعية تتمثل في أسطورة اغتيال
الأب التي يعتبرها منشأ للعقائد والأديان والفنون والحضارة عموماً.

⁴ حياتي و التحليل النفسي (سيغموند فرويد) 26_28_31_32

⁶ http://www.sst5.com/authorinf.aspx?Author_id=363

فرويد والكوكايين:
كان يظن فرويد أن الكوكايين ذو أثر إيجابي، فقام بعلاج أحد مرضاه باستخدام الكوكايين ولكنه توفي جراء هذا⁷

الهو والأنا و الأنا الأعلى

رأى فرويد أن الشخصية مكونة من ثلاثة أنظمة هي الهو، والأنا، والأنا الأعلى، وأن الشخصية هي محصلة التفاعل بين هذه الأنظمة الثلاثة

ثانيا : الطوطم و التابو

أ : مقدمة إلى مفهوم الطوطم و التابو(التعريف،العلاقة بينهما،أساس كل واحد فيهما.....)

الطوطم و التابو:

تعريف الطوطم :في العادة هو حيوان مسالم يؤكل لحمه..و قد حرم أكله مع الأزمنة..فيصبح لدى الإنسان خوف من مس هذه الحيوانات.

التابو :كلمة بولينيزية الأصل تعني المهابة القدسية..عكسها "نوا" تعني الاعتيادي.

يعرف فونت " التابو " بأنه أقدم مجموعة قوانين غير مكتوبة لدى البشرية ..و أقدم من الآلهة و الأديان..لا يعرف لها مصدر..لا نقدر على فهمها و تفتقر على أية تحليل..

التابو و الطوطمية : لهما علاقة ببعضهما في تابو الحيوانات حيث يحرم قتلها و أكلها..

إن الينابيع الحقيقية للتابو تكمن في ما هو أعمق من مصالح أصحاب الامتيازات ..تكمن حيث توجد أكثر الغرائز الإنسانية بدائية..حيث تنحدر من الخوف من القوى الجنية التي يظنوها متخفية في الشيء المحرم..و التابو يحرم إثارة هذه القوة حسب تفسير فونت

فرويد و فونت متخالفان بالنسبة لأصل التابو ..حيث أن فرويد يعتبر أنه حتى القوى الجنية أو الآلهة هي من إبداعات القوى النفسية لدى الإنسان..حيث يقول أنه في علم النفس لا يمكن للخوف و لا للأرواح الشريرة أن يقيم كأشياء نهائية لا يمكن أن ترد إلى أشياء أبعد .

أساس التابو : فعل محظور يوجد إليه ميل في اللا شعور .

إن مرض التابو أو الخوف من اللمس هو ظاهريا يشبه مرض الإكراه⁸..

مريض " الإكراه " أقصى ما يمكن أن يعرب عنه هو الإحساس الغامض بأن شخصا معينا من محيطه سيصاب بضرر من جراء انتهاك المحظور .

⁷ حياتي و التحليل النفسي (سيغموند فرويد) الصفحة 31

⁸ <http://www.syrianmeds.net/topic/6211>

الشبه بين "العصاب الإكراهي" و "التابو":
عدم تبرير الأوامر

تحسينها بواسطة اضطراب جواني
قابليتها للانزياح و خطر العدوى عن طريق الشيء المحظور
التصرف بتصرفات طقوسية .. و فروض تتأتى عن المحظورات
التفسير النفسي من حيث التاريخ السريري للعصاب الإكراهي _

في البداية منذ الطفولة ظهرت لذة اللمس لشيء معين.. لكن ظهر حظر من الخارج حول هذا
الشيء.. و لاقى هذا الحظر قبولا لأنه مؤيد بقوة عزيمة داخلية.. فكان أقوى من الدافع..
لكن التكوين البدائي للطفل لم يسمح بإلغاء الدافع نهائيا فتم نفيه إلى اللاشعور.. و بذلك أصبح كل من
الدافع و الحظر موجودين.

الدافع لأنه لم يندم و إنما انكبت فقط
و الحظر لان إلغاءه سيجعل الدافع ينفذ إلى الشعور و التنفيذ.. و من النزاع بين الحظر و الدافع
يشترك كل ما يلي ذلك. فالفرد المعني يريد دائما القيام بهذا الدافع لكنه يشمئز منه في الوقت نفسه..
إن لذة الدافع تنزاح بشكل متواصل لأنها موصولة بضرورة داخلية و لذة لاشعورية.. تفقد إلى
الإدراك الواعي.. كي تقلت من الطوق الذي تجد نفسها فيه و تسعى لإيجاد بدائل عن الشيء
المحظور أي تصرفات بديلة.
لذلك ينتقل الحظر أيضا إلى أهداف جديدة للعاطفة المستنكرة.. و كل اندفاعه جديدة من قبل المكبوت
يرد عليها الحظر بتشديد جديد.

التابو ينمو على أرضية موقف عاطفي ازدواجي
إن الشيء الذي لا يشتهي المرء فعله.. لا يحتاج لحظر.. لذلك فإن ما يجري حظره بصورة متشددة
هو حتما موضع اشتها..

لو أننا فعلا نشعر بالاشمئزاز التام للقتل لكان الحظر و "التابو" لا داعي لهما.. مما يؤدي إلى أن
الدافع للقتل موجود حقا في اللاشعور

العصاب يشبه التابو إلا أن العصاب مرض نفسي بينما التابو خلق حضاري.
عندما ينتهك الإنسان تابوا فإنه يخاف على نفسه من العقاب.. لكن في حالة العصاب الأمر
مختلف.. فالشخص المنتهك لا يخاف على نفسه بل على شخص آخر.
** "الهستيريا" هي صورة مشوهة عن الإبداع الفني..... "العصاب الإكراهي" هو صورة مشوهة
عن الدين.. و "الهوس الهذاني" هو صورة مشوهة عن النظام الفلسفي.⁹

⁹ <http://www.syrianmeds.net/topic/6211>

ثالثا : تهيب سفاح القربى

أ : دراسة العادات عند الشعوب البدائية للوصول للأصل

بدأ فرويد دراسته على الشعوب البدائية , بهدف أن يحكم على أنهم من الشعوب المتوحشة أو نصف المتوحشة . و سيبدأ فرويد بالسكان الأصليين لقارة استراليا لأن تلك القبائل توصف من قبل الانتوغرافيين بأنهم أكثر المتوحشين تخلفا و بؤسا . و لأنهم يعتبرون عرقا متميزا , لا تظهر فيهم أي قرابة فيزيائية أو لغوية مع أقرب جيران لهم من الأقوام الميلانيزية أو البولينية أو المالوية , يقول فرويد : "لا شك أننا لا نتوقع من هؤلاء البدائيون , الفقراء العراة , أن يكونوا في علاقاتهم الجنسية متمسكين بالأخلاق حسب مفهومنا , أو أن يكونوا قد أخضعوا دوافعهم الجنسية لضوابط عليا , لكننا في الواقع نجد أنهم وضعوا نصب أعينهم ببالغ الاهتمام و بمنتهى الشدة و الصرامة تجنب العلاقات الجنسية بين الأقرباء"¹⁰ . حيث نجد لدى الاستراليين , عوضا عن المؤسسات الدينية و الاجتماعية , نظام الطوطمية , و كما ذكرنا سابقا فإن الطوطم هو في العادة حيوان (لحمه قابل للأكل:حسب فرويد)مسالم أو خطر مخيف , و في النادر يمكن أن يكون شجرة أو قوة طبيعية (مطر ماء) , و الطوطم هو الأب الأول للعشيرة و هو الروح الحامية لها الذي يرسل لها الوحي و من أجل ذلك يخضع أبناء الطوطم للالتزام مقدس يقضي بأن لا يقتلوا طوطمهم و أو يستغنوا عن لحمه , و يجري توارث الطوطم من طرف الأم أو من طرف الأب , و الانتماء للطوطم هو الأساس يوضع فوق الانتماء القبلي و فوق قرابة الدم . أما بالنسبة لاختراق أحد المحظورات الطوطمية (مثلا قتل حيوان طوطمي) يعاقب عليه أشد العقوبة من قبل كامل القبيلة , فكأن القبيلة تدافع عن نفسها من أي خطر يهدد القبيلة¹¹ , أما العقوبة المترتبة على الاتصال الجنسي من امرأة من نفس القبيلة أو من أسرة الحرب هي الموت , هناك الصفة الوراثية للطوطم فهو لا يتغير بالزواج , فإذا كان الرجل ينتسب على سبيل المثال من عشيرة طوطمها الكنغر و تزوج امرأة طوطمها النعام فإن الأطفال ذكورا و إناثا سوف يكونون نعاما و بذلك يستحيل على الابن حسب قانون الطوطم , أن يتصل جنسيا بأمه و أخته اللواتي هن من نفس الطوطم (النعام).

فكنتيجة 1- نستطيع أن نرى أن التزاوج الخارجي المرتبط بالطوطم يحقق أكثر و بالتالي يهدف أكثر الى منع الاتصال المحرم مع الأم و الأخوات. 2- و نرى أن هؤلاء المتوحشين لديهم درجة عالية جدا من تهيب سفاح القربى و الذي هو من وجهة نظري ورث الى الآن عن طريق العادات و التقاليد

ب : اختلاف المحظورات من منطقة لأخرى

تختلف أشكال المحظورات من منطقة لأخرى.....

فمثلا في ميانماريا في جزيرة ليبير تنصب كل المحظورات ضد اتصال الفتيان بالأم و الأخوات حيث يغادر الفتى بدءا من سن معينة بيت أبويه , و يعيش في "النادي" حيث ينام و يتناول وجباته بشكل منتظم و يحق له أن يزور بيته كي يطلب الطعام و لكن إذا كانت أخته بالمنزل فعليه أن

¹⁰ الطوطم و التابو الصفحة 23

فريزر (الطوطمية و التزاوج الخارجي)المجلد الأول الصفحة 54¹¹

ينصرف قبل أن يأكل , أما إذا لم تكن الأخت موجودة فعليه أن يجلس ليأكل قرب الباب , وإذا تقابل الأخ مع الأخت في البرية فعليه أن تهرب و تختبئ
_ أما في كالدونيا الجديدة تكون المحظورات كثيرة بين الابن و الأم فإذا أحضرت له شيئاً فأنها تضعه أمامه و لا تقدمه باليد , و عندما تخاطبه فإنها لا تقول له (أنت) بل (أنتم)¹²
_ و في شبه جزيرة الغزلان في بريطانيا الجديدة لا يجوز للأخت منذ زواجها أن تتكلم مع أخيها¹³
_ في مكلينبورغ الجديدة يشمل مثل هذا التقييد ابن و بنت العم و العمة و الخال و الخالة.¹⁴
و ك نتيجة نجد أن : تختلف المحظورات و المحرمات الطوطمية من مكان لآخر مما يؤدي إلى اختلاف العقائد و العادات و التقاليد و تتفرع إلى أشكال م مختلفة تصبح البعض منها فيما بعد ديانة لإحدى القبائل .

رابعاً : التابو و ازدواجية الانفعالات العاطفية

أ:مدخل لمفهوم التابو
تابو : هي كلمة بولينيزية , و كما يقول فرويد: " نجد صعوبة في ترجمتها لأننا لم نعد نملك المفهوم الذي تدل عليه " ,
يتشعب مفهوم التابو إلى اتجاهين متعاكسين , من جهة يعني : مقدس , مبارك و من جهة أخرى يعني : رهيب , خطير , محظور , مدنس . و ضد التابو في البولينية يسمى : نوا و يعني : اعتيادي , متاح للجميع
إن التابو يعبر عن نفسه أساساً في المحظورات و التقييدات , و عبارة (المهابة القدسية) تتطابق غالباً مع معنى التابو ,
إن التقييدات التابوية شيء مغاير للمحظورات الدينية أو الأخلاقية , فهي لا ترجع إلى أمر من الله , بل تحظر نفسها بنفسها , و تفترق عن المحظورات الأخلاقية بعدم اندراجها في نظام يقول عموماً بضرورة التعفف و يعلل هذه الضرورة . يعرف فونت التابو بأنه أقدم مجموعة من القوانين غير مكتوبة لدى البشرية , و من المتعارف عليه أن التابو أقدم من الآلهة و أسبق من الأديان.¹⁵
التابو حسب مقال (التابو) في موسوعة البريطانية لمؤلفه الانثروبولوجي (نورثكوت ف.توماس : المعنى الدقيق للكلمة (تابو) 1- الصفة القدسية للأشخاص أو الأشياء 2- نوع التقييد الذي ينتج عن تلك الصفة 3- القدسية التي تأتي عن انتهاك المحظور .

¹² (الطوطمية و التزاوج الخارجي) فريزر المجلد 1 الصفحة 77

¹³ المصدر المذكور سابقاً المجلد الثاني الصفحة 124

¹⁴ المصدر المذكور سابقاً المجلد الثاني الصفحة 13

¹⁵ سيكولوجيا الشعوب المجلد الثاني (الأسطورة و الدين) الجزء الثاني الصفحة 308

ب : أنواع التابو حسب نورثكوت .ف توماس :

- 1- تابو طبيعي أو مباشر ناجم عن قوة سحرية ملازمة للشخص أو الشيء
- 2- تابو منقول أو غير مباشر يصدر عن تلك القوة وهو إما أن يكون _مكتسبا أو_ ممنوحا من قبل كاهن أو زعيم
- 3- تابو متوسط بين النوعين السابقين

ج : أهداف التابو حسب سيغموند فرويد :

- 1- حماية الأشخاص معتبرين مثل زعماء أو حماية الأشياء ضد الأضرار 2- التأمين على الضعفاء , النساء , الأطفال , ضد سلطان المانا(القوة السحرية) 3- الحماية من الأخطار المقتونة بلمس الجثث و تناول بعض المأكولات
 - 4- و هناك تابو أيضا لحماية ملكية شخص و أدوات عمله و حقه صد اللصوص.
- و من ثم نأتي إلى عقوبة التعدي على تابو معين , فعندما يتم التعدي على تابو معين يقوم التابو ينتقم لنفسه , عن طريق أن من ينتهك هذا التابو يصبح هو نفسه تابوا , و لكن بعض المخاطر التي تنشأ عن انتهاك تابو , يمكن اتقاء شرها بالكفارات و طقوس الطهارة .
- لماذا نتوجه باهتمامنا الى لغز التابو هذا ؟ في رأي سيغموند فرويد أن أحد الأسباب هو أن تابو متوحشي بولينيزيا لا يبعد في الحقيقة كثيرا عنا , كما أردنا أن نعتقد في البداية , وأن المحظورات العرفية و الأخلاقية التي نخضع لها نحن أنفسنا , يمكن أن يكون لها صلة قرابة من حيث الجوهر بينها و بين التابو البدائي , و أن تفسير التابو قد يلقي ضوءا على الأصل الغامض لـ(أمرنا المطلق)¹⁶ .

د : أنواع التابو حسب فونت :

- يقسم فونت المحظورات التابوية إلى لدى الاستراليين إلى ثلاث فئات : الحيوانية , البشر , مواضيع أخرى , 1- فتابو الحيوانات الذي يقوم بالأساس على حظر القتل و الأكل , و هو يمثل جوهر الطوطمية. 2- أم تابو النوع النثفي الذي موضوعه الإنسان هو ذو طابع مغاير من حيث الجوهر فهو يقتصر سلفا على ظروف يكون فيها الشخص المحرم في وضع حياتي غير عادي , مثلا : يكون الفتيان تابو في حفل تعميدهم الى رجال , والنساء أثناء الحيض و بعد الولادة , و الأطفال عند ولادتهم و المرضى و , قبل الجميع (الأموات) و كل ما يستخدمه أي من هؤلاء الأشخاص تكون محرمة تحريما دائما على غيره . 3- و التابو الثالث هو تابو الأشجار و النباتات و البيوت و الأماكن , فهو أكثر تبديلا و يبدو أنه يتبع فقط قاعدة أنه يخضع للتابو كل ما هو رهيب , كما ورد في كتاب (سيكولوجيا الشعوب) للكاتب فونت فإنه <ينحدر التابو من حيث تجد أكثر الغرائز البشرية بدائية و استمرارية أصلها , تنحدر من الخوف من فعل القوى السحرية¹⁷ >

إذا حسب فونت نجد أن :

¹⁶ الطوطم و التابو الصفحة 45

¹⁷ سيكولوجيا الشعوب الصفحة 308

أصبح التابو بالتدريج قوة قائمة بذاتها و قد تحررت من هذه الجنية (القوى السحرية التي كانوا يؤمنون أنها مصدر التابو و يخافون منها) و يفرض التابو نفسه كعادة و كنسب و كقانون , أما الأوامر التي تقف بصورة خفية وراء النواهي التابوية المتبدلة حسب المكان و الزمان فهي بالأصل (اتقي غضب الأرواح الشريرة)¹⁸ و يعارض سيغموند فرويد هذا بقوله > لو أن الأرواح الشريرة موجودة فعلا , غير أننا نعلم جيدا , أنها بالذات , مثل الآلهة , من إبداعات القوى النفسية للإنسان , هي مخلوقة من قبل شيء و من شيء <

ه : ازدواجية الانفعالات العاطفية

عندما تحدثنا عن المحظورات عند المتوحشين ألم يخطر لنا أن نتساءل ما هي البواعث الحقيقية لمحظوراتهم - عن أصل التابو- حسب افتراض سيغموند فرويد >أنهم لن يكونوا قادرين على إعلامنا بأي شيء عن ذلك, لأن هذه القوانين غير صادرة من عندهم بل هي فرضت ذات يوم من الخارج على جيل من الناس البدائيين> , هذا يعني بالطبع أنه جرى تشديد عليها بالعنف من قبل الجيل السابق و قد جرى عليها تشديد عليها بالعنف من قبل الجيل السابق و قد أصابت هذه المحظورات نشاطا كان الميل إليه شديدا ثم حافظت على نفسها من جيل إلى جيل , ربما بحكم من التقاليد العائلية و الاجتماعية , و ربما انتظمت هذه المحظورات في أنظمة باعتبارها قطعة من الملك النفسي الموروث . إذا يتبين من التمسك بالتابو أن اللذة الأصلية المتمثلة بالقيام بما هو محظور ما زالت مستمرة لدى الشعوب البدائية , إذا لديهم موقف مزدوج اتجاه محظوراتهم التابوية , ففي لاشعورهم ليس هناك ما هو أحب من إليهم من انتهاك هذه المحظورات , إلا أنهم يتخوفون من ذلك , و هم لا يتخوفون منه إلا لأنهم يرغبون به , و الخوف أقوى من اللذة , بالإضافة الى أن اللذة لدى كل فرد من الشعب هي لاشعورية.

إن أقدم و أهم المحظورات التابوية هما القانونان الأساسيان للطوطمية كما ذكرنا سابقا : عدم قتل الحيوان الطوطمي و تجنب الاتصال الجنسي مع أبناء الطوطم من الجنس الآخر , و يفترض أن هذين هما أقدم شهوات البشر ,

أن الإنسان قد لا يكون قد انتهك تابوا , و يمكن مع ذلك أن يكون بصورة دائمة أو مؤقتة , بسبب وجوده في وضع مؤهل لأن يثير الشهوات المحظورة لدى الآخرين , لأن يوقظ نزاع الازدواجية فيهم ,

وجد فرويد أن أفضل الأدلة على انحدار الغروض الإكراهية و الدفاعية هي من انفعالات أو ميول ازدواجية , حيث أنها إما توافق الرغبة و الرغبة المضادة في نفس الوقت , أو تقف بشكل أرجح في خدمة واحد من الرغبتين المضادتين. ولقد صار التابو لدى الشعوب المعنية الشكل العام للتشريع و دخل في خدمة الميول الاجتماعية التي هي بالتأكيد أكثر حداثة من التابو نفسه ,

خامسا : الأرواحية

الأرواحية هي علم التصورات الروحية , و في المعنى الواسع علم الكائنات الروحية العامة , و يميز الإنسان الإحيائية , و هي علم حياتية الطبيعة التي تبدو لنا غير حية , و يأتي في هذا الإطار تقديس الكائنات و عبادة الأجداد . عند الشعوب القديمة كانت ترى العالم مسكونا بما لا يحصى من الكائنات الروحية التي تضم الخير و الشر , و تنسب الحوادث الطبيعة الى هذه الأرواح , و لا يعتبرون الحيوانات و النباتات فحسب , بل أيضا الأشياء غير الأحياء في العالم مسكونة بها , و يعتقد البدائيون أيضا بروحنة (أي إسكانه بالروح) الفرد البشري فالكائنات البشرية تحوي أرواحا , و هذه الأرواح يمكن أن تفارق مسكنها و تنتقل إلى مسكن ثاني (بشر آخرين) ¹⁹. و لكن كيف توصل البشر البدائيون الى تلك النظرة الثنائية (الجسم المادي و الروح) التي يقوم عليها النظام الأرواحي ؟ في كتاب سيغموند فرويد (الطوطم و التابو) : يقال : من خلال مراقبة ظواهر النوم و الموت الذي يشبه كثيرا , و من خلال السعي لتفسير هذه الحالات التي تهم كل فرد بالنسبة للبدائيين كان استمرار الحياة هو شيء بديهي , أما تصور الموت فجاء بعدئذ و لم يتم تقبله إلا بتردد .

>الأرواحية نمط تفكير , فهي لا تقدم تفسيراً لظاهرة مفردة فحسب , بل تسمح بفهم كامل للعالم من رابطة وحيدة , من منظور واحد.< إذا أردنا أن نأخذ برأي المؤلفين , فإن البشرية قدمت ثلاث أنماط للتفكير : 1- الأرواحي 2- الديني 3- العلمي و من بين هذه الأنماط الثلاثة يبدو أول نمط من ابتداء البشر , و هو الأرواحي , إذ هو يفسر جوهر العالم بصورة تامة (و الذي هو من صفات البشر حبههم الى الاكتشاف و تفسير كل شيء حولهم)

سادسا : العودة الطفولية للطوطمية (إيجاد الأصل)

أ : الجوانب المختلفة للطوطمية

إن النظام الطوطمي هو نظام ديني , كما هو نظام اجتماعي و في جانبه الديني يقوم على صلات الاحترام المتبادلة بين الإنسان و طوطمه , و في جانبه الاجتماعي يقوم على التزامات أفراد العشيرة اتجاه بعضهم و اتجاه القبائل الأخرى , و في تاريخ الطوطمية غالبا ما نجد نزعة نحو لافتراق , حيث غالبا ما يبقى النظام الاجتماعي بعد زوال النظام الديني . إننا كلما عدنا إلى الوراء في التاريخ سوف يتبين لنا بكل وضوح أن ابن القبيلة يعد نفسه من نفس نوع الطوطم و لا يختلف سلوكه اتجاه الطوطم عن سلوكه اتجاه ابن قبيلته. إن الجانب الديني للتابو هو عندما يتم الاحتفال بالولادة و الدفن حيث يجري التمثيل بأن يتنكر الجميع بزي طوطمهم و يتصرفون مثله , و يوجد طقوس يقتل فيها الطوطم بصورة احتفالية .

أما الجانب الاجتماعي للطوطمية فيتجلى في وصية يتم التمسك بها بشدة , و تقول الوصية : إن أفراد عشيرة الطوطم هم أخوة و أخوات , ملزمون بمساعدة و حماية بعضهم , و في حال مقتل أحدهم على يد شخص غريب يتكفل كامل قبيلة الفاعل بقدية القتل , و يتضامن جميع أفراد عشيرة

الأسطورة و الدين , المجلد الثاني الصفحة 173, 1906 ¹⁹

القتيل من أجل المطالبة بالتعويض عن الدم المسفوح²⁰ , فالروابط الطوطمية أقوى من الروابط الأسرية في مفهومنا المعاصر ,
*ملاحظة : إن التقييد التابوي المقابل لذلك هو حظر زواج بين أفراد عشيرة الطوطم , (كما تحدثنا في بداية الحلقة)
لقد أثير انتباهنا أن الشريعة الطوطمية كما وصفها رايناخ , لا تتضمن على الإطلاق من التابويين الأساسيين : تابو الزواج الخارجي , بينما ذكرت صدفة مقدمة التابو الثاني , و هي الانتساب الى الحيوان الطوطمي .²¹

ب : نظريات منشأ الطوطمية

كيف توصل البدائيون الى أن يسموا أنفسهم (أو قبائلهم) بأسماء الحيوانات ؟

إن النظريات المطروحة حول نشأة الطوطمية , فأراد سيغموند فرويد أن يصنفها إلى ثلاث نظريات هي : 1- الأسمانية 2- السوسولوجية 3- النفسانية²²

النظرية الأسمانية

كان غارسيلازو ديل فيغا , و هو سليل شعب الإنكا البيرواني²³ , الذي كتب في القرن السابع عشر و لقد أعاد ما كان معروفا لديه من الظاهرة الطوطمية إلى حاجة القبائل لأن تفرق بالأسماء فيما بينها و بعد قرون ظهرت فكرة ذاتها : حيث جاء فيها أن الطواطم نتجت عن (شارات الرايات) التي أراد بها الأفراد و العائلات و القبائل أ تتميز بها عن بعضها²⁴ . نفس الرأي أبداه ماكس موللر عن معنى الطوطم في مؤلفه (إسهامات في علم الميثولوجيا) فالطوطم هو : 1- اسم العشيرة 2- شعار عشيرة 3- اسم الأجداد الأوائل للعشيرة 4- اسم موضوع التبجيل لدى العشيرة , فيما بعد في العام 1899 : رأى بيكلر²⁵ أن البشر احتاجوا إلى أسماء دائمة مثبتة خطيا للجماعات و الأفراد , و قد كان تفسير اللورد أنبوري لنشوء الطوطمية : > إذا أردنا أن نفسر تبجيل الحيوانات , فليس لنا أن ننسى , كم يكثر استقاء الأسماء البشرية من الحيوانات و بالطبع فإن أولاد و أتباع الرجل الذي سمي دبا أو سبعا , جعلوا من ذلك كنية < .

لذلك نستنتج (في هذه النظرية) أنه لم تظهر الطوطمية عن حاجة دينية بل عن حاجة يومية واعية لدى البشرية

²⁰ الطوطم التابو (سيغموند فرويد) الصفحة 129

²¹ الطوطم و التابو (سيغموند فرويد) الصفحة 131

²² الطوطم والتابو (سيغموند فرويد) 133

²³ المرجع السابق الصفحة 133

²⁴ سر الطوطم الصفحة 34

²⁵ الطوطم و التابو الصفحة 134

النظريات السوسولوجية

حسب (دوركهايم) فالطوطم هو الممثل المرئي للدين الاجتماعي لهذه الشعوب و هو يجسد الجماعة التي هي في الحقيقة موضع التبجيل²⁶ , و هناك مؤلفون آخرون بحثوا عن تعليل أقرب لمشاركة الدوافع الاجتماعية هذه في تكوين المؤسسات الطوطمية , فرأى أحد المؤلفين أن كل قبيلة بدائية كانت تعيش في الأصل من حيوان أو نبات معين , و ربما مارست النجارة به أيضا و بادلت به القبائل الأخرى , وبذلك لا بد أن تعرف هذه القبيلة عند القبائل الأخرى باسم الحيوان الذي يلعب عندها هذا الدور الهام , و في نفس الوقت لا بد أن تنمو لدى هذه القبيلة إلفه اتجاه مع الحيوان المعني و أن ينشأ نوع من الاهتمام به , إلا أن الاهتمام لا يقوم على دافع نفسي آخر غير أكثر الحاجات البشرية أولية و إلحاح و هو (الجوع) .

النظريات النفسانية

قامت النظرية الأولى النفسانية لفريرز على الاعتقاد ب (النفس الخارجية) بناء عليها يمثل الطوطم ملجأ أمين للنفس تودع فيه كي تبقى النفس عن الأخطار التي تهددها , فإذا احتذى الإنسان البدائي الى طوطمه , فإنه يصبح بعيدا عن الأذى و بالطبع يتمتع هو ذاته عن إيذاء الطوطم , وبما أن الإنسان البدائي لا يعرف أي حيوان هو الطوطم من جميع أفراد نوعه , فمن الطبيعي أن يحافظ هذا الإنسان على كل النوع , تنتقل إلى فكرة ثانية تظهر أحد أفكار ظهور تبجيل الطوطم , و هو نظرية الحمل لدى الإنسان البدائي حيث أن المرأة اعتقدت أن الحيوان أو النبات أو الشيء الذي شغل خيالها أثناء شعورها لأول مرة بالحمل , يكون قد دخل فيها و سيولد منها في هيئة بشر , عندئذ يكون تماثل الإنسان مع طوطمه معللا بالفعل من خلال اعتقاد المرأة الحامل , كما يمكن ببساطة استنتاج أن جميع الأوامر الطوطمية , فالإنسان المعني (المولود الجديد) سوف يرفض الأكل من هذا الحيوان أو هذه النبتة , لأنه بذلك سوف يكون كمن يأكل نفسه , إلا أنه سوف يجد نفسه مدفوعا لأن يتمتع من فترة إلى أخرى بصورة طقوسية بشيء من طوطمه لأنه بذلك سوف يقوي تماثله بطوطمه , و هذا هو الأساسي في الطوطمية.

حيث نستنتج في هذه النظرية أن الطوطمية هي من ابتكار عقل أنثوي و ليس العقل الذكري . و هناك نظرية أخرى عن الطوطمية تزعم أن الطوطم هو بالأصل روح حامية لأحد الأسلاف اكتسبها من خلال حلم و ورثها خلفه.

إذ تعرفنا على أهم النظريات التي تشرح منشأ الطوطمية حيث أن الطوطمية قد تختلف من قبيلة لأخرى و تتطور الفكر التي نتجت عنه عبر الأزمان .

الخاتمة

مدرسة التحليل النفسي ل (سيغموند فرويد) ساعدتنا على معرفة ماضيها و تطوره و القوانين و الأنظمة و المحرمات و المحلات التي نتجت عن أول قانون أوجده الإنسان البدائي الذي هو كما تحدثنا في هذا البحث (التابو) الذي هو أقدم قوانين و أنظمة وضعها إنسان و (الطو طم) الذي هو المصدر الأول للتأبو اللذان تكاملا معا مهن أجل تطوير هذه القوانين و بفضل العقل البشري تطورت لتصبح مفهوما للدين و الأخلاق و العادات و التقاليد .

المراجع

- 1- الطوطم و التابو بعض المطابقات في نفسية المتوحشين و العصابين (سيغموند فرويد)
- 2- حياتي و التحليل النفسي (سيغموند فرويد)
- 3- سيكولوجية الشعوب (الأسطورة و الدين المجلد الثاني)
- 4- الطوطمية و التزاوج الخارجي (فريزر)
- 5- http://www.sst5.com/authorinf.aspx?Author_id=363
- 6- <http://www.syrianmeds.net/topic/6211>
- 7- سر الطوطم (لانغ)



الطالب أحمد الأحمر

(الطوطم و التابو)

سيغموند فرويد